https://doi.org/10.26682/hjuod.2022.25.2.2

مجلة جامعة دهوك، المجلد: 25، العدد: 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 25-36، 2022

قراءة في الثنائية الوصفية لظاهرة المطر في القرآن الكريم

مُحَمَّد عبدالقادر حسين

قسم اللغة العربية، فاكولتي العلوم الإنسانية، جامعة زاخو، اقليم كوردستان–العراق

(تاريخ استلام البحث: 16 ايار، 2022، تاريخ القبول بالنشر: 21 تموز، 2022)

الخلاصة

يُعدّ الماءُ أهم رموز الحياة وضوحًا في ذهن الإنسان منذ أقدم العصور، فهو مادة الحياة التي خلق منها كل شيء حي، والعرب يرون في الغيث والخصب الذي يعم ديارهم بالرزق، والأمن والاستقرار، ويرون بخلافه القحط وعدم الاستقرار والحروب؛ فهم لذلك يستبشرون به ويعتبرون أوقات نزوله موسمًا للفرح واستقبال حياة رضية قادمة.

ولأهمية المطر عند العربي القديم نراه يؤلف الكثير فيما يسمى علم الأنواء ويربط بينها وبين النجوم فلكل نجم نوء، فقد كان يحيطه بالقداسة وبالخوف في الوقت نفسه، كما يتقرب إليه بعدد من الشعائر الخاصة بالاستمطار والاستسقاء .

ومن هنا سنرى في طيات بحثنا أن القرآن الكريم حين جاء اختفت العديد من متناقضات المجتمع العربي حول ظاهرة المطر، فإن من الملاحظ أنه وقف عند ظاهرة المطر أكثر من وقفة وأعطاها نوعًا من الخصوصية في كونه قد شغل صورتين متقاطبتين، وهما: صورة الرحمة والطَهر والنعمة والحياة، وصورة العذاب والنقمة والرعب والموت. استخدم القرآن الكريم صور المطر والماء والسحاب والرعد استخداما واسعا دقيقا فهي تتردد في مواضع شتى من القرآن الكريم في معرض التذكير بنعم الله تعالى، وقدرته والإيمان به، وقدرته على البعث والنشور.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على بعض الدراسات التي تناولت الموضوع بصورة عامة ومن أهم تلك المصادر كتاب المطر في الشعر الجاهلي للدكتور أنور أبو سويلم، وكذلك كتاب الطبيعة في الشعر الجاهلي للدكتور نوري حمودي القيسي وقد أفاد البحث منهما وغيرهما من المصادر القيمة.

وقد بدت أهمية البحث كونه يتناول ورود هذه الظاهرة في القرآن الكريم، كمحاولة في استقصاء بعض النماذج التي وردت في الآيات القرآنية الكريمة والتي وصفت ظاهرة المطر في دلالات مختلفة.

وسنقف في بحثنا هذا على تمهيد ومحورَين، يتناول التمهيد التعريف بالمطر في اللغة والاصطلاح، والمطر في حياة العرب قبل الإسلام من خلال الشعر، ليأتي المحور الأوّل متناولًا المطر دلالة الحياة، والمحور الثاني المطر دلالة الموت، لينتهي بخاتمة بينت أهم النتائج من خلال المحورَين، ثمّ ذيّلناها بقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات الدالّة: (ثنائية الوصف، ظاهرة المطر، القرآن الكريم، الدلالة، الصورة الأدبية، الشعر الجاهلي).

التّمهيد: التّعريف بالمطر

قبل الدخول إلى كشف ظاهرة المطر في القرآن الكريم علينا أن نعرج ولو كمدخل تمهيدي على التعريف بالمطر وذكر أهميته في حياة الناس عامة والعرب خاصة من خلال الشعر الجاهلي.

فالمطر هو " الماءُ: المنسكبُ من السحاب والمطر ماءُ السحاب والجمعُ أمطارُ والمطرُ فعلُ المطرِ وأكثرُ ما يجيءُ في الشعرِ وهو أحسن، وأمطرتهم السماء: أصابتهم بالمطر وهو أقبَحهُمَا . ويومٌ مطير ماطر ومكان ممطور ومطير .أصابَه مطرَ ووادٍ مطيرٍ ممطورٌ ووادٍ مَطِرٍ بغير باءٍ إذا كان ممطورًا "[1]

وبالرجوع إلى أصل الكلمة ممطورٌ: " الميمُ والطاءُ والراءُ أصلٌ صحيح فيه معنيان: أحدهما الغيث النازلُ من السماء والجنسُ الأَخرُ من العَدُو. فالأول المطرُ مُطِرنا مطرًا قال ناسٌ: لا يقالُ أُمطرنا إلا في العذاب "[2] وذلك لأنك "لا تجد القرآن يلفظ به إلا في مواضع الانتقام، والعامةُ والخاصة لا يفصلون بين ذِكرِ الغيث "[3] وقد نرى أَن دلالتَها (مطر) استخدمت مجازًا فمِن "المجاز أمطرَ اللهُ عليهم الحجارةُ، ومُطرَ في الأرض وتمطرَ. ومرّ الفرسُ يمطرُ مطرًا ويتمطرُ: يعدو بشدة كصوت المطر. وأخذَ ثوبي فلا أدري من مَطَرَبه. وتمطر فرسه ويومٌ ماطرٌ ومكانٌ ستمطر: محتاجٌ إلى المطر. واستمطرت فلانًا طلبت

معروفه والمالُ يُستمطر: يُبرز للمطر ومنه قعدوا في المستمطر في المكان البارز المنكشف "[4] وكذلك نجد " الممطرُ والممطرة تكسرهما ثوب من الصوف يلبسُ في المطر "[5] ، فنجد من خلال تعاريف المطر أن المعاجم اللغوية لم تفرق بين لفظة المطر والغيث بل خلطت بينهما إلا أننا نجد ذلك التفريق في القرآن الكريم من خلال اختلاف دلالة كل منها فهناك "صورتان متضادّتان للمطر أبرزَهُما القرآنُ الكريم بوضوح تام:صورة الرحمة والطهر والنعمة والحياة، وصورة العذاب والنقمة والرعب والموت" [6] ، كما سنرى لاحقًا في المحورَين.

المطر في حياة العرب قبل الإسلام

الماءُ أهم رموز الحياة وضوحًا في ذهن الإنسان، منذ أقدم العصور فهو مادة الحياة التي خلق منها كل شيء حي، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله –تعالى–:{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [7].

والعرب يرون في الغيث الخصب الذي يعم ديارهم بالرزق، والأمن والاستقرار ويرون بخلافه القحط وعدم الاستقرار والحروب، فهم لذلك يستبشرون به ويعدون أوقات نزوله موسمًا للفرح واستقبال حياة رضية قادمة، ذلك " فإن إفراط العرب في حب الماء كان نظرًا لندرته في شبه الجزيرة العربية بحيث يبدو مزيجًا من القدسية والأسرار".[8]

لقد عاش العربي ظروف جزيرته البيئية وخبر ظواهرها فحاول التكيف لمواصلة العيش فيها، فلخصوبة الأرض وجفافها السر الكبير في حياة العرب الذين أخذوا أنفسهم فيها معتمدين اعتمادا كبيرا على الغيث ومساقطه وانتجاع الكلأ، وبهذا اقتضت حياتهم تحت وطأة تلك الظروف أن يكون لحلهم وترحالهم مواسم معينة على مدار السنة. فهم يقيمون على مياههم زمن الحر واشتداد القيض لا يبرحونها، إلا لغارة أو حرب، فحياة العرب تقوم أساسًا على الغيث وما قدرته عليهم السحب في مواسم معينة، وهي قليلة على أية حال .[9] فالأرض بصورها "مصدر الحياة المهم ومحورها الأساس، بسببها تتحالف القبائل وتتخالف وتضعف وتقيم، فهي تمثل استمرارية حياتهم القائمة على الرعي ".[10]

ولأهمية الماء في حياة العرب كانوا يتقربون إلى آلهتهم بالقرابين والتوسلات كي تمنحهم المطر وكانت قلته وندرته سببًا من أسباب خلق الأساطير وكثرتها حول هذه الندرة ولذلك نطالعهم وهم يمارسون عملية الاستسقاء ضمن طقوس غريبة وأحوال غامضة .[11]

ونظرًا لأهمية المطر في الحياة العرب فقد اهتموا بمراقبة مظاهر الأنواء وألوان السحب وقد علمتهم تجاربهم أن السحب البيضاء لا تكون ممطرة والسحب السوداء تكون هطلة تغيث الناس، وقد كانوا أصحاب دراية عن الغيث ومساقطه حتى أنهم في بعض الاحيان ينتقلون دون أن يبعثوا رائدهم[12] لوثوقهم بالغيث عن طريق أماراتـه. [13]

لقد ظهر اهتمام العرب بالغيث والمطر في نتاج شعرائهم فوصفوا سحبه وعلاماته من برق ورعد ورياح وقد كانوا يستمدون من صوره تشبيهاتهم ووصفوا تأثيره على مخلوقات الجزيرة الأخرى من حيوانات وطيور، فإذا أردنا أن نتعَرف على قضية المطر عند العرب قبل الإسلام فلن نجد إلا في الشعر الجاهلي، ومن خلاله نعرف أن المطر كان محاطًا بالرغبة والرهبة .[14]

إنَ الناظر إلى قصائد الجاهلية يرى أن الشعراء تتبعوا نزول المطر تتبعًا غريبًا فراقبوه ووصفوا برقه اللامع ورعده القاصف وسحبه الحافلة ورياحه المتناوصة، ورسموا صورًا رائعة لمناظره وهو ينثال كاللؤلؤ من قبة السماء الخيرة إلى قيعان الصحراء الظمأى، وأشاروا إلى السيول والغدران والآبار وما يحدثه من انقلاب في الحياة العادية فالحيوانات تمر مذعورة، والضفادع تنق نشوة، والتلال العالية تعمم بالزهر والنبات والأغوار تطفح بسيول جارفة، إلى غير ذلك من التفعيلات الدقيقة والمناظر المتنوعة واللوحات الزاهية .[15]

يقول طرفة بن العبد:

وإنّا، إذا ما الغَيْثُ أمسى كأنّهُ	سماحيقُ ثَرْبٍ وهي حمراء حَرجَفُ
وجاءتْ بصرّادٍ كأنّ صقيعهُ	خلالَ البيوتِ والمنازلِ كرسفُ
وجاءَ قَريعُ الشّوْلِ يَرقصُ قبلَهَا،	إلى الدّفءِ، والرّاعي لها مُتحرّفُ
نَرُدّ العِشارَ، المُنْقِياتِ شَظِيُّها،	إلى الحيّ حتى يمرعَ المتصيَّفُ [16]

ولأهمية المطر عند العربي القديم نراه يؤلف الكثير فيما يسمى علم الأنواء على نحو ما فعل ابن قتيبة ويربط بينها وبين النجوم فلكل نجم ضوء، المهم أنه كان يحيطه بالقداسة والخوف في الوقت نفسه كما يتقرب إليه بعدد من الشعائر الخاصة به، فقد عرف الضراعة للمطر والدعاء بالسقيا، كما عرف ما يسمى " نار الاستمطار "؛ ذلك أنهم في سنوات القحط كانوا يجمعون عددًا من الأبقار، ثم يعقدون بين أذنابها وعراقيبها بأشجار السلع والعشر ثم يصعدون بها في الجبال، ويوقدون النار في الأشجار ويسترسلون في الدعاء والضراعة للوصول إلى السقيا .

ثم إن الإسلام أعطى بديلًا لما كان يسمى "نار الاستمطار" التي يفعلونها، فقد استبدل الإسلام عن ذلك بما يسمى" صلاة الاستسقاء ". [17]ومن هنا سنرى في طيات المبحثين أن القرآن الكريم حين جاء رحلَ العديد من متناقضات المجتمع العربي الجاهلي، فإن من الملاحظ أنه وقف عند ظاهرة المطر أكثر من وقفة وأعطاها نوعًا من الخصوصية في كونه قد شغل صورتين متضادتين للمطر وهما صورة الرحمة والطّهر والنعمة والحياة، وصورة العذاب والنقمة والرعب والموت.

المحور الأول: المطر دلالة الحياة

استخدم القرآن الكريم صور المطر والماء والسحاب والرعد استخداما واسعًا دقيقًا فهي تتردد في مواضع شتى من القرآن الكريم في معرض التذكير بنعم الله تعالى، وقدرته والإيمان به، وقدرته على البعث والنشور.

والمطر النازل من السماء مادة للحياة وأصل للموجودات، منه خلق الله كل شيء، وهو الرحمة والطهور والغيث والبركة. [18]وقد صَرّح القرآن الكريم عن هذه الحقيقة: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}[19] ، وقد خاطب القرآن الكريم الإنسان، ودعاه إلى الطريق الصراط المستقيم الذي يوصله إلى بر الأمان وضرب له الأمثال؛ ليستبق حقيقة الإيمان وتطمئن به نفسه.[20] وقد لفت ربّ العزة الانتباه إلى آيات في الآفاق وفي النفس البشرية لتتبين هذه الحقيقة الإيمانية "ونجد أن أكثر الصور التشبيهية مطبوعة بطابع البيئة العربية وذلك؛ لأَن الرسول صلى الله عليه وسلمالكريم η قد أُرسل بلسان قومه ولما كان اللسان هو الأداة المعبرة عن كل ما في الحياة كان من البديهي أن ينقل لنا معالم الطبيعة واضحة في تشبيهات القرآن". [21]

لقد ذكر القرآن الكريم بشيء من التفصيل عملية تكوين المطر؛ إذ أنه لا يأتي من لا شيء ولا من ذاته، بل يمُّر بسلسلة عمليات، فالرّياح تثير السحاب، ثم تجمعه ثم تسوقه ثم تبسطه في السماء، ثم تلحقه، وذلك في قوله –تعالى–: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ}[22] ، وهذه العملية تَرِدُ في القرآن الكريم في دالة الرحمة التي تري الإنسان بديع صُنع الله –جلّ جلاله– وحُسن عطائه –سبحانه وتعالى– للناس بكثرة نِعمه وآلائهِ " فالرياح حوامل للسحاب والسحاب حوامل للماء، وِعاءٌ له والسحاب مُلقَّح بالرياح والعرب تقول: (لا تلقح السحاب إلا من رياح مختلفة) [23]، وبعد ذلك ينزل المطر من بطون السحاب؛ ذلك مصداق قوله –تعالى–: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ...}[24] ، لقد تعددت أسماء المطر في القرآن الكريم وكثرت صفاته وشبه به كل حسنة وقرن بكل خير، فهو (المطر، الغيث، الماء، الودق، الصيب، الوابل، الرحمة، الرزق)، فضلًا عن أسماء أخرى ذكرت في الشعر الجاهلي والإسلامي (كالواكف والرهام والرجن) وغيرها من الأسماء .[25]ولقد فسّرت المعاجم العربية الغيث والمطر كلًا منهما بالآخر، ولم تجعل بينها فرقًا، أما القرآن الكريم فقد جعل بينهما فرقًا واضحًا وأعطى كلًا من اللفظين دلالة مميزة، وجعل كلًّا منهما مصطلحًا قائمًا بذاته عند كل من يتحرّى الدِّقّة في فهم آيات الله –سبحانه– ومعانيها، أما الغيث في القرآن الكريم فهو الماء المنسكب من السماء رحمة للعباد وهو سبب الخير والري والعطاء، أما المطر في القرآن الكريم فهو العذاب للمعاندين الكافرين عقابًا لهم. [26] ولقد ورد في القرآن الكريم المطر بلفظة الماء في سياق يعكس ظاهرة فيها جمالية الوجود وإنعام الخالق –سبحانه– على الخلق بالخير والرحمة، قال –تعالى–: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا

وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ...}. [27]فالآية الكريمة واردة في سياق جملة خبرية معطوفة، وقوله: {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ} يعني من السحاب. [28] والآية الكريمة تشير إلى فضل الله وإنعامه على الناس في إنزال ماء المطر من السحاب، لأنه يخرج منه، وسياق هذه الآية سياق إنعام وتفضُّل في عملية إنزال الماء من فوقهم فهم يستفيدون منه دون مشقة في الحصول عليه، فإنزال الغيث هذا بحد ذاته قدرة وإعجاز وتفضل [29]، وإذ به تقوم الحياة كما يتبين في قوله –تعالى–: {فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ..} ففي ذلك إشارة إلى قدرة الله سبحانه على إنبات النبات وإخراجه، وتظهر دقة التعبير القرآني في اختيار المفردات ذات دلالات واسعة ولاسيما الرحمة والحياة في استخدام الحرف (مِنَ) في قوله –تعالى: {مِنَ الثَّمَرَاتِ} فإنه سبحانه لم ينزل الماء كله، ولا أخرج الثمرات كلها فتحققت مقابلة بين (مِن السّماء) و (مِن الثّمرات) . [30]

ويستمر التعبير القرآني في تسمية المطر بالماء في دلالة الحياة تفضلًا من الخالق –سبحانه وتعالى– بإسناد الفعل وضميره إليه –سبحانه– في قوله: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} [31] ، فالآية الكريمة تأتي في سياق جملة خبرية معطوفة تشير إلى الأنعام والتفضُّل[32] من الله –سبحانه وتعالى– على الناس وإسناد الفعل (أنزل) إلى الضمير (نا) الذي يعود على لفظ الجلالة الله هو إسناد تعظيم وتشويق وقد حقق معنى البركة والفيض في هذا الماء النازل الذي لا يقدر على إنزاله إلا الله –عز وجل–.[33] وتكتمل دلالة الحياة لهذا المطر النازل الذي يعطي دلالة السعة والكثرة وبخاصة ما يتبعه من إنبات* لأنواع كثيرة من النبات في قوله –تعالى–: {مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} يشمل (كل زوج وكل نوع من أزواج النبات وأنواعه، ومنها ما فيه فائدة عظيمة في استمرار حياة الإنسان والحيوان وفي ذلك تمام المنَّة من الله سبحانه حتى يقر الإنسان بالتوحيد تمام الإقرار). [34]وقد جاء ذكر الماء مرة أخرى بمعنى المطر وذلك في سياق إقامة الحجة على المشركين من خلال تقرير حالة نزول الماء والغيث من السماء وارتباطها بالمنزل لها وهو الله –سبحانه وتعالى– وذلك في قوله –تعالى–: {ولَئِن سألتَهم من نزّل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولُنَّ الله}. [35]فدلت الآية الكريمة دلالة واضحة على صعق المشركين وجهلهم وسفاهة عقولهم عندما أقروا أن الله –سبحانه– هو الذي ينزل عليهم الماء، فهم "معتقدون بأنه الموجِدُ للكائنات بأسْرِها وأصولها وفروعها، ثم أنهم يشركون به بعض المخلوقات التي لا تقدر على ذلك". [36]وإن التعبير القرآني في إثبات لفظة (فأحيا) ليعطي دلالة واضحة على المطر كونه دالة حياة الأرض وآية الرحمة للناس، وهذا يتأكد في الآية الأخرى وهي قوله –تعالى–:{ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ }.[37] فهذا الماء هو الغيث والرحمة وقد قدَّر له أن يكون على أكمل صفة وأعظم بركة، ولهذا عبَّر عن هذا المطر المنزل بقوله: {مَاءً مُبَارَكًا} أي (كثير البركة والمنافع) [38] ، ولم يوصف الماء بالبركة في القرآن الكريم إلا في هذه الآية، فبركة ماء السماء هي ما نُبِّهَ عليهِ بقوله –تعالى–: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ}.[39] ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يُعدّ ولا يُحصى قيل لكل ما يشاهد منه زيادة الخير محسوسه هو مبارك وفيه بركة.[40]

وتتأكد لنا دلالة المطر في كونه دالة على الحياة والنعم الربانية على الخلق من خلال وصف الله ﷻ للغيث بالرحمة في سياق آية تعطي الإنسان إمكانيةَ التأمّل في نِعم الله –سبحانه وتعالى– عليه وذلك في قوله –سبحانه–: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. [41]فآثار رحمة الله –عز وجل– في الغيث الذي يحيي به الله السّهلَ والجبل فتحيا الناس والنعم والوحوش والهوام به .

إن المتتبع للآيات القرآنية التي تورد الألفاظ الدالة على المطر يرى أن هناك من الألفاظ ما استعملت في بيان هذه الدلالة أي الحياة في المرادفة للفظة المطر أو الغيث كلفظة البركات الواردة في قوله –تعالى–: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا

فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.[42] فالعودة إلى معنى البركة في اللغة نجد أن من تصريفات الكلمة "أبرك السحاب إذا ألحَّ بالمطر على موضع ومكان، اشتد انهلال السماء وأبركت: دام مطرها". [43]ونرى أن المفسرين يقولون في قوله –تعالى–: {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ} لوسّعنا عليهم الخير وسيّرنا لهم من كل جانب، والمرادُ: المطر والنبات . [44]فبالمطر تزداد البركة، والبركة من الله –سبحانه وتعالى–؛ إذ إنه –سبحانه– هو الذي ينزل المطر وهو الذي ينبت النبات ليعود بالفائدة على الناس لذلك أعطت هذه اللفظة (بركات) معنى الزيادة والنماء، وعليه فإن بركات السحاب وهو اشتداد انهلاله ودوام مطره هو الحركة والحركة بركة وزيادة ونماء .[45]

ونجد أن المطر تلك الظاهرة السماوية التي تعطي جمالية المنظر في إطار صور أراد القرآن الكريم أن يبينها في إطار النعم الربانية على الخلق أجمعين، إذ بدونه تنعدم الحياة فللمطر في نفس الإنسان خصوصية بكونه هدفًا لاستمرارية حياته لذلك كله ظلّ الغيث عنوان العطاء والبركة .

لطالما وردت لفظة الغيث في القرآن الكريم لتعطي دلالة الرحمة والحياة للإنسان؛ فدلالة الغيث واضحة في معانيها اللغوية "فغاثَ الله البلاد يَغيثُها غيثًا إذا أنزل بها الغيث، أي: المطر ".[46] وفي القرآن الكريم:{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} ". [47]وهكذا يكون الإنسان دائمًا بحاجة إلى الغيث والمطر فهو أهم رموز الحياة وضوحًا في ذهنه منذ أقدم العصور. فدلالة الغيث تأتي كما قلنا في مواضع الخصب والخير وإدخال المسَرَّة في قلوب العباد وبخاصة بعد شدة، وهو حاصل اليُسر بعد العُسر؛ لذلك سمي الكلأ الذي ينبث من ماء السماء غيثًا آخذًا معنى المطر لأنه سبب فيه . [48]كما جاء في قوله –تعالى–: {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا}. [49] ومن أسماء الله الحسنى (المغيث) وهو الذي يأتي بالغيث – سبحانه وتعالى– لا أحد سواه يقدر على إنزاله. ومن الصفات الواردة للمطر في القرآن الكريم المِدرار التي تعطي دلالة الكثرة وقد وردت سياق دلالة الحياة في التعبير القرآني على النعم التي تفضل الله بها على الخلق وذلك في قوله — تعالى–: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ}.[50] فالآية وردت في سياق العبرة والتفكر بما حلَّ بالأمم السابقة التي جحدت آيات إنعامه وتفضله عليهم والخطاب موجه إلى أهل مكة بخاصة والكفار عامة. [51]وإسناد الإرسال إلى الله –سبحانه– نهاية في المنة والإنعام والتفضل والبركة، وقوله: (مدرارًا) لفظ يدل على التكثير والمعنى المطر الكثير علاوة على أن مدرارًا جاءت منصوبة على الحال لتدل على دوام حال هذه الإنعام التي يقتضي شكره سبحانه لا الشرك به كما فعلت تلك الأمم الكاذبة وكل ذلك تعريض بأهل مكة من الكفار.[52]

ومن استعمال الدلالة الحياتية للمطر قوله –تعالى–: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} .[53] فالآية الكريمة جاءت في سياق التذكير بنعم الله من قبل نبي الله هود –عليه السلام– برفق ولين قاصدًا "استحالتهم إلى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة؛ لأن القوم كانوا أصحاب زرع وبساتين".[54] فكانوا أحوجَ إلى المطر، وقد قيل إن الله حبس عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فلم تلدنَ. [55] وقد استخدم التعبير القرآني الجملة الطلبية في سياق الآية فالفعل (يرسل) جزم لأنه جواب طلب، وفي ذلك إشارة من الله –سبحانه– وهي أن التوبة والاستغفار هما العنصران الأساسان في إرسال الرزق وإنزال المطر. فالجواب فيه معنى المجازاة، وقد نصب (مدرارًا) على الحال لبيان دوام هذه النعم، وفيه معنى التكثير، أي: يرسل المطر متتابعًا بعضه فوق بعض والعرب تحذف الهاء من (مفعال) على النسب، وأكثر ما يأتي (مفعال) من (أفعل) وقد جاء هنا من (فعل)، لأنه من درتِ السماءُ فهي مدرارًا. [56]

ويأخذنا الحديث إلى قضية مهمة تؤكد دلالة الحياة والرحمة للمطر ألا وهي قضية الاستسقاء، فالمطر يحبس لأسباب وردت بعضها في الآية السابقة ومنها عدم شكر الله –جل جلالُه– على نِعمه، وعدم التوبة والاستغفار من الذنوب

والمعاصي فربما يحبس المطر فتضطرم القلوب إلى الماء فتكون الحاجة إليه ملحّة فإذا ما نزل المطر كان غوثًا ونجدةً وحياة؛ ولأجله كان الاستسقاء منذ عصر ما قبل الإسلام، والاستسقاء هو طلب السّقيا ويكون حين يحبس المطر فإذا أقحط القوم فليس هناك في الإسلام سحرُ ولا طقوس كإشعال النار أو غسل الثياب وغير ذلك لاستمطار السماء وغيرها من الخرافات التي تتخذ كوسيلة لإنزال المطر. [57]في الإسلام يتوجه الناس إلى الله –سبحانه– بالاستغفار كما ذكر عن هود –عليه السلام– سابقًا، وكما في قوله –تعالى– :{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا}. [58]وهي عبارة عن محاورة وقعت بين نبي الله نوح –عليه السلام– وبين قومه المشركين والآية في سياق جملة انشائية طلبية والسماء هنا المطر والغيث، وعن مقاتل أَنَّ قوم نوح لما عُذِّبوا زمنًا طويلًا حبَس الله عنهم المطرَ وأعقمَ أرحامَ نسائهِم أربعين سنةً، فهلكت مواشيهم وزروعهم فلجأوا إلى نوح فاستغاثوا به، فقال لهم: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} ترغيبًا لهم ودعوةً إلى الإيمان بالله سبحانه. [59]فالإيمان والاستغفار سببان في نزول الرزق والمطر والبركة من السماء، فالاستسقاء في عقيدة المسلم هو الاستغفار والتوجه إلى الله –تعالى– بقلوب يعمرها الإيمان الصادق؛ لأن الله لا يرُدُّ امرأً توافرت فيه صفات المؤمن مجاب الدعوة، كذلك كان الرسول ﷺ مثالًا للمستقين المغاثين. [60]فإذا شكوا قحطَ المطر توجَّهوا إلى الرسول ﷺ يسألونه أن يستسقي لهم، فيتوجه إلى الله –سبحانه– بالتوبة والاستغفار وسؤال الغيث مادة الحياة فيغاثون بإذن الله –عز وجل–، ومما يُرى أن الاستغفار يؤدي إلى السقيا أنّ عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– لما استسقى ذات يوم لم يُرد على الاستغفار والتوبة؛ فقيل له أنك لم تستسقي وإنما كنت تستغفر، قال: قد استسقيت بمجاديح السماء. [61]وهو بهذا يريد إبطال الاعتقاد بالنوء؛ لأنه جعل الاستغفار هو ما يستسقى به لا المجاديح والأنواء التي كانوا يعتقدون بها في الجاهلية، فكان المسلمون بعد نبيهم يستسقون بأهل بيت النبوة وأهل الصلاح والتقوى من الأحياء، فعن أنس أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– كان إذا قحط الناس استسقى بالعباس بن عبدالمطلب –رضي الله عنه–، وقال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا فأسقنا، قال: فيُسقون". [62] وإلى ذلك أشار الفضل بن العباس بقوله . [63]

بعمّي سقى الله الحجاز وأهلـه عشية يستسقي بشيبته عمـر
توجه بالعباس في الجدب راغبًا إليه فما إن رام حتى أتى المطر

وهكذا كان المطر دلالة الحياة، لأن فيه قوة خفية تقهر الجدب فتبعث الخصب وتعيد الحياة إلى الأرض الموات فتثير فيها البهجة والسرور والخير والعطاء .

المحور الثاني: المطر دلالة الموت

لقد صور القرآن الكريم المطر بدلالته الثانية وهي الموت تصويرًا فنيًا مُبدعًا إذ عدَّ التصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن الكريم فهو يعبر بالصور المحسوسة المتخلية عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصور التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ... فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة فيها الحياة وفيها الحركة فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل. [64]

إن دلالة المطر اللغوية تختلف كما وضحنا في المبحث الأول ومن حيث المعنى بين لفظتي مَطَر وأمطر في القرآن الكريم وهو ما يتفق فيه اللغويون والمفسرون، فقد ذهبوا إلى أن المطر تأتي في العذاب وأن لفظة المطر تأتي بمعنى الماء المنسكب من السحاب والرحمة. [65] وقد وردت لفظة أمطر في كتاب الله العزيز سبع مرات [66] وفي كل مرة ترد يحمل دلالة العذاب والموت، ففي قوله –تعالى–: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}. [67]فنرى أن مطرًا جاءت في إنزال العذاب للمعاندين الكافرين عقابًا لهم فهو دلالة الموت، يقول أهل التفسير عن هذه الآية: أنه كان في قوم لوط قرية سَدُوم، وأن الله –تعالى– أرسل عليهم نوعًا من المطر عجيبًا قالوا: أمطر عليهم الكبريت والنار، وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطر حجارة على مسافريهم. [68]

لقد صور القرآن الكريم هنا المطر بصورة تعكس حالة الخوف من سوء العاقبة في حالة أعرض القوم عن منهج الله – عز وجل– فكفروا به –سبحانه– وبنِعَمه، فبدل أن يكون المطر النازل من السماء دلالة الحياة والخير والعطاء ينعكس ليكون دمارًا وعذابًا مؤدِّيًا إلى الإبادة والموت.

وفي سياق الآيات الواردة في قصة نبي الله لوط –عليه السلام– ترد لفظة المطر لتعطي دلالة الموت والعذاب، يقول الله –سبحانه تعالى–: {ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ}. [69]فلفظة المطر الواردة "بثقل طاءاتها التي وردت في هذا النص ملائمة بجرسها الشديد لمشهد العذاب الذي نزل بأولئك الكافرين المعاندين ". [70]فأخذ السياق الدلالي للفظة المطر عذابًا للمعاندين الكافرين وعقابًا لهم.[71]

إن دائرة الهلاك التي لحقت بقوم لوط بسبب عنادهم وتكبرهم عن الاستجابة لنبي الله لوط –عليه السلام– واستمرار بغيهم فلذلك لحق بهم ما أصابهم من السماء من مطر السوء الذي أمطرهم الله –عز وجل– به عقابًا على كُفرهم.

لقد ورد لفظ المطر مرّة أخرى ليعطي دلالة الموت وذلك في قوله –تعالى–: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}. [72]يقول البيضاوي في تفسيره: "إن المطر كان حجارة من طين متحجّر نضّيد ممدًّا لعذاب قوم لوط، أو نُضِّيد في الإرسال يتابع بعضه بعضًا لقطار الأمطار، أو نُضِّد بعضه على بعض وألصق به. إن لفظة المطر التي وردت بعد لفظة أمطر في آيات العقاب جاءت مُنكرة، وهي في دلالتها لا تعني الماء المنسكب من السحاب حسْب، وإنما أخذت معنى آخر، منه الحجارة والطين، وإن تنكيرها يعني أنّ الذي ينزل من السماء مطر وغيره كالحسبان والرجز ". [73]لذلك جاءت للتهديد والوعيد في ذلك الحوار الواقع في قوله –تعالى–: {فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا}.[74] فالآية الكريمة تشير إلى الحوار الذي جرى بين العبد المؤمن بالآخرة وبين الجاحد بها فالقرآن يخبرنا عن كلام المؤمن للكافر المرتاب في قيام الساعة إن ترني أيها الرجل (أنا) أقل منك مالًا وولدًا في الدنيا فعسى أن يرزقني الله خيرًا من بستانك هذا ويرسل عليها، يعني جنة الكافر التي قال عنها: (مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا) عذابًا من السماء وهو الحسبان، وقيل: إنه السحابة أو الصاعقة والمطر المغرق والمهلك للزروع.[75] والمطلع على الآية الكريمة يجد أن الجار والمجرور قد قدِّم (عَلَيْهَا) وهي جنّة الكافر على المفعول (حُسْبَانًا) وهو العذاب، لأن العذاب مرسل إلى هذه الجنة لاسيما وفي ذلك دلالة كبيرة على أنّ العذاب قد وقع على جنة الكافر فقط، فهي المقصودة فضلًا عن استخدام حرف الجر (على) في قوله –تعالى–: {وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا} الذي أفاد معنى نزول العذاب من السماء ففيه معنى التسلط والشمول. [76]فالتهديد والوعيد من هذا المؤمن لهذا الكافر بنزول العذاب إن أصرَّ على كفره وجحوده موجَّهٌ في الحقيقة إلى كل من كفر بالله واليوم الآخر، وهو تهديد مستمر ودائم وقوله –تعالى–: {صَعِيدًا زَلَقًا} أي أرضًا لا ينبت فيها نبات ولا تثبت فيها قدم، والزَّلَق مصدر زلقت الرجل إذا اضطربت وزلت على الأرض فلم تستقر، ووصف الأرض بذلك مبالغة أي هي ذات زلق أي مزلقة.[77]

ولقد صوّر القرآن الكريم المطر دالة للموت من خلال العذاب الذي أنزله على أصل القرية والتي جعلت من خلال سياق الآية عبرة للذين يأتون من الأحياء الذين سيمرون على القرية ويرون ما حلّ بها من العذاب الذي أودى بهم إلى الهلاك جرّاء كفرهم بالله –عز وجل–، وما جرى لهم جزاء ما كانوا يفعلونه من المعاصي التي تزيل النعم وما ذلك على الذين لا يعتبرون وينتهون عن الغي ببعيد أن يُصابوا بمثل ما أصيبت به القرية، فقال –تعالى–: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا}. [78]فوصف المطر الذي هو الماء الذي ينزله الله –عز وجل– من السماء لإحياء الأرض ونفع الناس، وصف بالسوء إذ كانت الحجارة هي النازلة بدل الماء فقلبت دالة المطر من الحياة إلى الموت فاختلفت الدلالة اللغوية بين لفظتي مَطَرَ وأمطَر من خلال اللفظتين الواردتين في الآية القرآنية.

من خلال تتبعنا للمواضع التي تثبت دلالة الموت في لفظة المطر في القرآن الكريم نرى أن التصوير القرآني للفطرة البشرية التي اقتنعت بأن العلامات الدالة على نزول المطر وهي الرياح ومن ثم السحاب، فالمطر وما يسبقه من برق ورعد هي كلها بشارات للناس الذين يعيشون في بيئة تحتاج حقيقة إلى هذا الماء فصورة العذاب والنقمة والخوف والقتل لا تتمثل بنزول المطر (العذاب)، بل كذلك بصور الجدب والقحل الذي يحيل الحياة إلى الشقاء والعذاب والفقر والجوع؛ لذلك كانت معاناة الإنسان عظيمة في تلك البيئة. [79]

ولذلك نقول إن من لوازم شكر نعمة الله –عز وجل– على نزول الغيث والمطر (الحياة) هو عبادة الله –عز وجل– وتوحيده وذكره والاعتراف بمِنّه وكَرَمِه وبخلاف ذلك ليس ببعيد أن تنقلب تلك البشارات إلى نقمة وعذاب، وقد صور القرآن الكريم هذه الصورة في قوله –تعالى–: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}. [80]وهذا ما لم يكونوا يتصوره، فهم فرحوا بعلامات هطول الأمطار على أراضيهم وأوديتهم لتحيا الأرض ويستبشروا بالماء وفجأة تتحول هذه العلامات إلى العذاب والموت جزاءً على ما كانوا عليه من محل سيء، فعززت هذه الصورة إحاطة المطر بالرهبة والخوف.

إن المطلع على أحداث السيرة النبوية في بداية عهدها يجد بأن الرسول ﷺ وقد تلقّى أنواع الأذى على يد المشركين من قريش وغيرها وهو صابرٌ محتسبٌ، ومن جملة ما آذوه به هو إطلاق بعض الصفات عليه وهو بريءٌ منها، بل هم يعرفون بأنه بعيد عنها كل البعد [81]، إلا أن الأمر الكبير الذي يدلُ على جهل المشركين وسفاهتهم هو أنهم يحاولون أن يهلكوا أنفسهم بأيديهم وذلك في دعائهم على أنفسهم بإنزال مطر العذاب عليهم إن كان نبينا مُحَمَّد η على حقّ فيما يدعو إليه، وذلك في قوله –تعالى–: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}. [82] فنرى أن المطر هنا دلَّ على الموت والعذاب فالآية الكريمة في سياق جملة إنشائية طلبية تحققت بفعل الأمر (أمطر) الذي خرج معناه إلى الدعاء، وقد نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث الذي قال: "إن كان ما يقوله مُحَمَّد حقًا فأمطر عليهم حجارة من السماء". [83] وقوله: (أمطر) بالألف يعني كل شيء من العذاب وإن كان من الرحمة فهو مطرت، ذلك؛ لأن الفعل الرباعي (أمطر) يدل على العذاب وإذا كان المطر مطر الرحمة فيستعمل التعبير القرآني الفعل الثلاثي (مطر) وقوله –تعالى– على لسان النضر: {إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ تهكُّمٌ لمن يقول على سبيل التخصيص والتبيين: هو الحق؟ [84] ونرى في الآية الكريمة أن القول أُسند إلى جميع المشركين بعبارة (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا) والقائل واحد، وذلك؛ لأنهم كانوا في الكفر والعدوان سواء، وكلامهم جار مجرى القَسَم؛ لأنهم يقسمون بطريقة الدعاء على أنفسهم إذا كان ما حصل في الوجود على خلاف ما يحكونه ويعتقدونه، وهم يحسبون أن دعوة المرء على نفسه مستجابة فقد كانوا لجهلهم وضلالهم يحسبون أن يتحدى لتحديهم هذا. وقد علق الشرط بأداة الشرط (إنْ) لتبين غباء هؤلاء المشركين بتحديهم لله –عز وجل– بقولهم: {إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ} وهو جملة الشرط {فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً} هو جملة جواب الشرط، وهم أرادوا أن يظهروا لقومهم صحة اعتقادهم بعدم حقيقة القرآن، وقد أرادوا أن ينزل العذاب عليهم أولًا فظهر هذا المعنى في دلالة تقديم الجار والمجرور (عليهم) على المفعول (حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ)، وكذلك وقوع ضمير الفصل (هو) في قوله: {إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ} الذي أدّى معنى دلاليًا آخر وهو زيادة توكيد دعائهم على أنفسهم، ولم يكتفوا بهذا العذاب بل أرادو عذابًا يختاره الله –سبحانه– أي نوع كان هو ظاهر من استخدام (أو) التخييرية وقد بينت الآية الكريمة سفاهة عقول المشركين إذ ليس من الحكمة الدعاء على النفس بالهلاك والدمار. [85]

وهكذا فإن الآية الكريمة السابقة قد ساقت لنا دلالة الموت والتي يبعثها المطر النازل من السماء ممّا عكست تلك الجمالية الوديعة لصورة المطر إلى جمالية الرهبة والخوف في هطوله على شكل حجارة تهلك كل من وقعت عليه وتدمره فوجدنا في هذه الرحلة مع المطر أنه مخيفٌ في حال كونه

عذابًا من الله ﷻ لأقوام كفروا به وآذوا أنبياءه وصدوا عن سبيله .

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة البحث يمكن لنا أن نبين بعض النتائج التي تظهر في التمهيد والمحورين، وهي:

1-من خلال التمهيد وجدنا أن دلالة المطر اللغوية موافقة للمرادفات الكثيرة التي اتصف بها المطر ولم تفرق المعاجم اللغوية بين مفرداته كمطر وغيث، إلا أن الفارق وجد عندهم من خلال استنباطهم من استعمال القرآن الكريم لألفاظ المطر ولاسيما صيغة (مطر وأمطر)، و(المطر والغيث).

2-ووجدنا أن المطر شغل أهمية كبيرة عند العربي في صحرائه، لحاجته الماسة إليه، وانعكس ذلك من خلال تصويره حسيًا ومعنويًا في الشعر الجاهلي ومما يدل على الاستسقاء في الجاهلية والإسلام.

3-ومن خلال رحلة بحثنا عن المطر وروده في القرآن الكريم وجدنا أن دلالاته انقسمت على دلالتين، إحداهما: دلالة الحياة وقد عبر القرآن الكريم بصورة صريحة وواضحة هذه الدلالة من خلال كونه مادة للحياة وصورة للرحمة والطهر والنعمة.

4-وفي المحور الثاني تتبعنا ورود المطر في صورة مغايرة متناقضة عن الدلالة الأولى؛ إذ إنه بدى دالة للموت وصورة للعذاب والنقمة والرعب، فكانت المواضع التي وردت فيها لفظة المطر في هذه الدلالة تشير إلى الانتقام وهي دلالة مغايرة للأولى التي كانت في مواطن الخير والرحمة وباعثة للحياة.

الهوامش

(1) لسان العرب: ابن منظور: (مطر): ج3 ص498

(2) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ج5، ص332.

(3) البيان والتبين: أبو عمر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ج1، ص20.

(4) أساس البلاغة: جارالله الزمخشري، ص905.

(5) تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، ج3، ص545.

(6) المطر في الشعر الجاهلي: الدكتور أنور أبو سويلم، ص20.

(7) سورة الأنبياء: الآية 30.

(8) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: الدكتور عبدالله الصائغ، ص146-147.

(9) ينظر مقدمة في الحياة العربية الدراسة الأدب الجاهلي: الدكتور يحيى الجبوري، ص77.

(10) الرحلة في القصيدة الجاهلية: وهب روحية، ص19.

(11) ينظر الطبيعة في الشعر الجاهلي: الدكتور نوري حمودي القيسي، ص65. والمطر في الشعر الجاهلي: ص52.

(12) أصل الرائد الذي يتقدم يبحر لحم الكلأ ومساقط الغيث، ينظر لسان العرب: مادة (رود)، ج1، ص1252.

(13) ينظر كتاب الأنواء: أبو محمد عبدالله بني قتيبة الدينوري، ص169.

(14) تنظر ظاهرة المطر في الشعر -دراسات في الشعر الحديث: الدكتور عبده بدوي، ص138.

(15) ينظر المطر في الشعر الجاهلي: ص11.

(16) الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد: تحقيق ودراسة دكتور علي الجندي، ص100-101.

(17) ينظر ظاهرة المطر في الشعر- دراسات في الشعر الحديث: ص141-142.

(18) ينظر المطر في الشعر الجاهلي: الدكتور أنور أبو سويلم، ص17.

(19) سورة الأنبياء: الآية 30.

(20) ينظر المطر في شعر صدر الإسلام: يونس هلال منديل، رسالة ماجستير، آداب - الموصل، 2001، ص11.

(21) التفسير الإسلامي للتاريخ: الدكتور عماد الدين خليل، ص33.

(22) سورة الحجر: الآية 22.

(23) ألفاظ الرياح والسحاب والمطر: محمد نايف محمد صالح، أطروحة دكتوراه، أداب – الموصل، 1969، ص196.

(24) سورة النور: الآية 43.

(25) ينظر المطر في الشعر الجاهلي: ص32.

(26) ينظر التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم: عودة خليل أبو عودة، ص507-508.

(27) سورة البقرة: الآية 22.

(28) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل: محيى الدين الرازي، ج1، ص109.

(29) ينظر السماء والأرض في القرآن الكريم - دراسة دلالية: أحمد صالح حميد، رسالة ماجستير، آداب - الموصل 2003، ص12.

(30) ينظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج1، ص160.

(31) سورة لقمان: الآية 10.

(32) ينظر الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص40.

(33) ينظر الكشاف: الزمخشري، ج3، ص23.
(34) السماء والأرض في القرآن الكريم – دراسة دلالية: ص13.
(35) سورة العنكبوت، الآية 63.
(36) أنواع التنزيل وأسرار التأويل: ج4، ص141.
(37) سورة ق: الآية 9.
(38) الكشاف،ج4، ص5.
(39) سورة الزمر: الآية 21.
(40) المفردات في الغريب القرآن: ص58.
(41) سورة الروم: الآية 50.
(42) سورة الأعراف: الآية 96.
(43) ينظر مقاييس اللغة: لأبي فارس:ج1، ص229.
(44) ينظر الكشاف:ج2، ص98.
(45) ينظر ألفاظ الرياح والسحاب والمطر: ص194.
(46) لسان العرب: (غيث)، ج2، ص480.
(47) سورة الشورى: الآية 28 .
(48) ينظر العين: الفراهيدي، ج8، ص440.
(49) سورة الحديد: الآية 20.
(50) سورة الأنعام: الآية 6.
(51) ينظر الكشاف: ج2، ص6-2.
(52) ينظر السماء والأرض في القرآن الكريم دراسات دلالية: ص18.
(53) سورة هود: الآية 52.
(54) الجامع لأحكام القرآن: ج9، ص35.
(55) الكشاف: ج2، ص474.
(56) ينظر السماء والأرض في القرآن الكريم: ص19.
(57) ينظر المطر في الشعر الجاهلي: ص70-93.
(58) سورة نوح: الآيتان 10-11.
(59) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ج18، ص195.
(60) السيرة النبوية: أبو هشام الأنصاري: تحقيق عبدالسلام هارون، ج1، ص280.
(61) المجمع: نجم من النجوم العرب بزعم أنه يمطر يجعلونه من الأنواء مرسان الاستغفار هو ما يستسقى به ينظر الطبقة في شعر صدر الإسلام، الدكتور عبدالله الظاهر أطروحة دكتوراه، آداب – الموصل 1996 ص21.
(62) صحيح البخاري: ج5، ص25.
(63) الاستيعاب في معرفة الاصحاب: ج2، ص865.
(64) ينظر التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص36.
(65) ينظر ألفاظ الرياح والسحاب والمطر، ص 190.
(66) وهي على التوالي: سورة الأعراف: الآية 84، سورة الأنفال: الآية 22، سورة هود: الآية 82، سورة الحجر: الآية 74، سورة الفرقان: الآية 4، سورة النحل: الآية 58، سورة الشعراء: الآية 173.
(67) (1) سورة الأعراف: الآية 84.
(68) ينظر الكشاف: ج2، ص93.
(69) سورة الشعراء: الآيتان 172-173.
(70) فقه اللغة: الدكتور كاصد ياسر الزيدي، ص183.
(71) ينظر التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم: 507-508.
(72) سورة هود: الآيتان 82-83.
(73) ينظر ألفاظ الرياح والسحاب والمطر: ص190-191.
(74) سورة الكهف: الآية 40.
(75) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ج1، ص65.
(76) ينظر السماء والأرض في القرآن الكريم – دراسة دلالية: ص29.
(77) ينظر المصدر نفسه، ص29-30.
(78) سورة الفرقان: الآية 40.
(79) ينظر مواضع ورود المطر في الشعر الجاهلي: الدكتور أنور أبو سويلم، مجلة مؤته للبحوث والدراسات – الاردن، المجلد الأول، العدد الثاني، 1986، ص16.
(80) سورة الأحقاف: الآية 24.
(81) ينظر السيرة النبوية: ابن هشام الأنصاري، ج1، ص104.
(82) سورة الأنفال: الآية 32.
(83) أسباب النزول: الواحدي، ص232.
(84) ينظر الكشاف: ج5، ص155، وينظر الجامع لأحكام القرآن: ج7، ص252.
(85) ينظر السماء والأرض في القرآن الكريم: ص 30.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **الكتب المطبوعة:**

أساس البلاغة: جار الله الزمخشري، دار الطابع الشعب – القاهرة،1960 م.

أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت 468 ه)، دار الكتب العلمية – بيروت، 1982 م.

الاستيعاب في معرفة الاصحاب: أبو عمر يوسف بن عبدالله (ت 463 ه)، تحقيق من حمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر – القاهرة، (د.ت).

الأنواء في مواسم العرب: أبو مُحَمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 ه)، دار الشؤون الثقافة العامة – بغداد، 1988 م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل: فخرالدين الرازي (ت 685 ه)، تحقيق مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418 ه.

البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ)، تحقيق عبدالسلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر للجميع – بيروت، 1968 م.

تاج العروس من جواهر القاموس: محي الدين مرتضى الزبيدي (1205 هـ)، دار ليبيا للنشر والتوزيع – بنغازي، 1306هـ.

التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، مطبقة أنوار دجلة – بغداد، (د.ت).

التفسير الإسلامي للتاريخ: عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة – بيروت، (د.ت).

الجامع لأحكام القرآن: أبوبكر مُحَمَّد بن عبدالله (ابن العربي)، (543 هـ)، تحقيق علي مُحَمَّد البجاوي، دار المعرفة – بيروت، 1987 م.

الرحلة في القصيدة الجاهلية: وهب رومية، مؤسسة الرسالة – القاهرة، ط3، 1998 م.

الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، 1986 م.

السيرة النبوية: أبو مُحَمَّد عبدالملك أبن هشام الانصاري (ت 218 هـ)، تحقيق مصطفى السقا وأخرون، مطبعة بابي الحلبي وأولاده – القاهرة، 1936 م.

الشاعر الجاهلي: طرفة بن العبد: تحقيق ودراسة الدكتور علي الجندي، دار المعرفة – بيروت، 1984.

صحيح البخاري: أبو عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ)، دار التراث العربي – بيروت،(د.ت).

الطبيعة في الشعر الجاهلي: الدكتور نوري حمودي القيسي مكتبة النهضة العربية – بيروت، ط2، 1984 م.

ظاهرة المطر في الشعر – دراسات في الشعر الحديث: الدكتور عبدة بدوي، مكتبة النهضة – مصر، 1992 م.

العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد – بغداد، 1986 م.

فقه اللغة العربية: الدكتور كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة والنشر – الموصل، 1987 م.

الكشاف: جارالله محمود بن عمر الزمخشري، (د. د) – القاهرة، ط2، 1953 م.

لسان العرب: أبو فضل جمال الدين بن منظور (ت 711 هـ)، دار لسان العرب – بيروت، (د.ت).

المطر في الشعر الجاهلي: الدكتور أنور أبو سويلم، دار عمار – عَمّان، ط1، 1987 م.

معجم مقاييس اللغة: أبو حسين أحمد بن فارس، تحقيق الدكتور عبدالسلام مُحَمَّد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة، ط2، 1969 م.

مقدمة في الحياة العربية – لدراسة الأدب الجاهلي: الدكتور يحيى الجبوري، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، 1984.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

ألفاظ الرياح والسحاب والمطر: مُحَمَّد نايف مُحَمَّد صالح، أطروحة دكتوراه، آداب – الموصل، 1999 م.

السماء والأرض في القرآن الكريم – دراسة دلالية: أحمد صالح حميد، رسالة ماجستير، آداب – الموصل، 2003 م.

الطبيعة في شعر صدر الإسلام عبدالله الظاهر، أطروحة دكتوراه، آداب – الموصل، 1996 م.

المطر في شعر صدر الإسلام: يونس هلال منديل، رسالة ماجستير، آداب – الموصل، 2001 م.

پوختە

ئێك ژ هێمایێن شلوقەكری دمێشكێ مروڤی دا ئاقە، بابەتی ژیانێ یە وهەمی تشت ژێ هاتینە ئافراندن هەر ژ چەرخێن كەڤندا، هەروەسا عەرەب دباران وكەسكاتیێ ونیعمەتێن دەورەبەرێن خو وپاراستن وبەردەوامیێ دا دبینن، ودژی وێ هشكاتیی ونە ئاكنجیبوون وشەرە، لەورا ئەو ئاقێ وەكو هێمایەك گەشبینیێ دبینن، ودەمێ باران دباریت دبیتە وەرزەكێ كەیفخوشیێ لدەف وان وپێشوازیەكا گەرم لێدكەن.

دگەل گرنگیا بارانێ ژلایێ عەرەبێن كەڤن دا بو ئەگەرێ پەیدابونا زانستێ ئەستێرناسیێ كو گرێدایبو ب پیرۆزیێ وترسێ وهندەك رێكارێن تایبەت دهاتنە دروست كرن ب بارانێ وئاقێ.

ودڤێ ڤەكولینێ دا مە دایە دیاركرن وبەرچاڤ كرن كوو دەمێ قورئانا پیرۆز هاتیە خارێ ئەڤ بیرەوەرێن دهاتن بكارئینان ژ ئاقێ نەمان، ونكی قورئانا پیرۆز دوو وێنێن ئاقی یێن جودا ودژی ئێك بومە دانە بەرچاڤكرن، یێ ئێكێ: دلوڤانی وپاقژی وهەبون، ویێ دووێ: دوزەخ وترس ومرن، ئانكو قورئانا پیرۆز وێنێن جوان وبەرفرەە یێن ئاقێ نیشامەدان كو گەلەك جارتن باران واتایە نعمەتێن مەزنێت خودای ددەت، وئیمان شیانێن خودای وهەبون وئافراندنا وی دەت دگەلەك ئایەتێن قورئانا پیرۆزدا.

ڤەكولینا مە ژپێشەكیەكی وددو قشكان پێكهاتیە كو پێشەكی لدور پێناسا بارانێ یە دژیانا عەربانداا بەری ئیسلامێ ولسەردەمێ ئیسلامێ دهوزانانداا، وپشكا ئێكی لسەر باران واتایا ژیانێ یە، وپشكا دووێ لسەر باران واتایا مرنی دكەت، دگەل كورتیەكێ پێكهاتی یە ژ ئەنجامێت ڤەكولینێ.

پەیڤێن سەرەكی: دیاردا بارانی، قورئانا پیرۆز، واتا، وینەی ئەدەبی، هوزانا بەری ئیسلامێ.

DESCRIPTIVE DUALITY OF THE PHENOMENON OF RAIN IN THE HOLY QURAN

MOHAMMED **A**BDULQADER **H**USSEIN
Dept. of Arabic language, Faculty of Humanities, University of Zakho, Kurdistan Region-Iraq

ABSTRACT

Water is the most important symbol of life clearly in the mind of a man since ancient times. It is the substance of life from which every living thing was created. The Arabs see the rain and the fertility that pervades their homes with sustenance, security and STABILITY, besides, unlike it they see drought, instability and wars. So, they rejoice in it and consider the times of its descent as a season for joy and a happy life to come.

Because of the importance of the rain for the ancient Arab, it has been seen that is composing a lot in what is so-called the science of animosity and linking it with the stars.

Hence, it will be seen in the doublings of the research that when the Holy Qur'an came, many of the contradictions of the Arab society about the phenomenon of rain disappeared in addition to life and the image of torment, resentment, horror and death. The Holy Qur'an used the images of rain, water, clouds and thunder in a wide and precise manner, as they are repeated in various verses in the Holy Qur'an in the context of reminding the blessings of the Almighty of God, and his ability and belief in him, and his ability to resurrect and resurrect. In the life of the Arabs before Islam through poetry, the first topic comes, dealing with rain, the significance of life, and the second topic, rain, the indication of death, to end with a conclusion that shows the most important results through the two sections.

***KEYWORDS*:** Rain Phenomenon, The Holy Qur'an, Connotation, Literary Image, Pre-Islamic Poetry